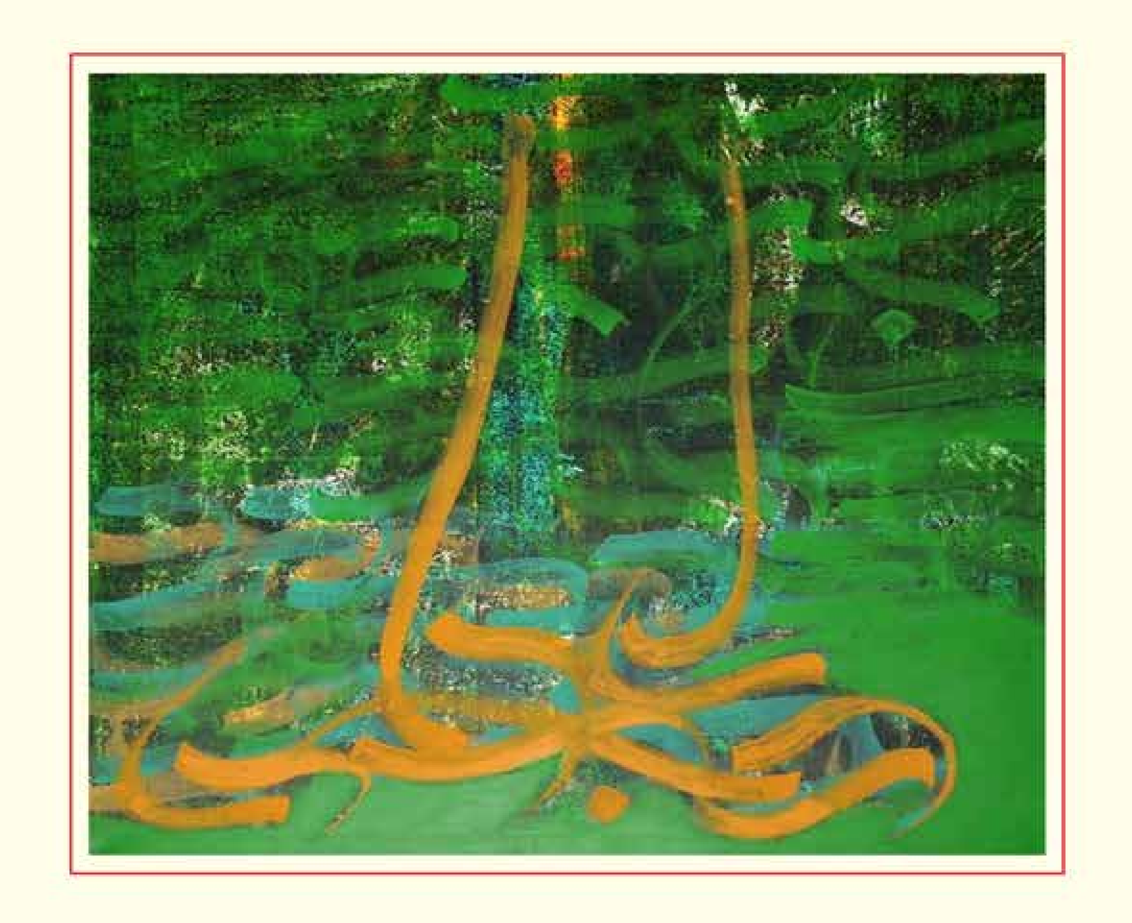




مجلة دولية علمية محكمة - يصدرها قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم - جامعة قطر

International Scientific Journal issued by The Department of Arabic Language, College of Arts and Sciences - Qatar University



ON LINE-ISSN: 2520-7148 PRINT-ISSN: 2520-713X

مايو 2017 العدد 1 المجلد 1





مجلة علمية دولية محكمة
تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

المجلد الأول
العدد الأول - مايو 2017م

المجلد الأول، العدد الأول

مايو 2017م

لوحة غلاف العدد للفنان : علي حسن

شعار اسم أنساق بخط : إبراهيم أبو طوق

للمراسلات

قطر – الدوحة، ص ب 2713 جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية – مجلة أنساق

المراسلات باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني للمجلة : ansaq@qu.edu.qa

الموقع الإلكتروني للمجلة : www.qu.edu.qa/ansaq

الترقيم الدولي الإلكتروني : Online-ISSN:2520-7148

الرقم الدولي : Print-ISSN:2520-713X

هاتف رقم : 6441–4403–974 +   4823–4403–974 +

فاكس رقم : 4501–4403–974 +

رقم الإيداع : 445/2016



مجلة علمية دولية محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر

قواعد النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث العلمية الرصينة باللغة العربية في حقل الآداب والعلوم الإنسانية.
2. تخضع البحوث المنشورة للتحكيم على نحو سري.
3. يجب ألّا يقل عدد كلمات البحث عن 4000 كلمة، ولا يزيد عن 8000 كلمة.
4. ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني للمجلة.
5. أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث:
   - عنوان البحث باللغة العربية،
   - اسم الباحث باللغة بالعربية،
   - اسم الجامعة،
   - البريد الإلكتروني،
   - ملخص البحث باللغة العربية (فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
   - الكلمات المفاتيح (لا تزيد عن سبع كلمات)
6. أن تتضمن الصفحة الثانية من البحث:
   - عنوان البحث باللغة الإنجليزية،
   - اسم الباحث بالحرف اللاتيني،
   - اسم الجامعة بالحرف اللاتيني،
   - البريد الإلكتروني،
   - ملخص البحث باللغة الإنجليزية (في فقرة لا تقل عن عشرة أسطر، ولا تزيد على عشرين سطرا).
   - الكلمات المفاتيح باللغة الإنجليزية (لا تزيد عن سبع كلمات)
7. توضع الهوامش في أسفل كل صفحة، وتكون مربوطة بشكل آلي بالمتن. كما يبدأ ترقيم الهوامش عند بداية كل صفحة جديدة.
8. إذا تكرر ذكر المرجع في الصفحة نفسها، يشار إليها بـ "المرجع نفسه".
9. توثق الإحالات على النحو الآتي: يذكر اسم المؤلف العائلي فالشخصي، ثم عنوان الكتاب أو المقال، ورقم الصفحة. (على أن يوثق المرجع بشكل كامل في لائحة المصادر والمراجع ويكون ذلك على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الجزء/ أو العدد، الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع).
10. أي بحث لا تتوفر فيه الشروط الشكلية المذكورة يستبعد تلقائيا دون النظر في محتواه.

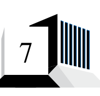



فهرس أنساق

استهلال أنساق

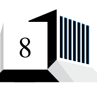
متــون أنساق

قـراءات أنساق




دلالات أنساق

ترجمات أنساق

الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب(1)

مارك تيرنر
قسم اللغة الإنجليزية بجامعة ميريلاند (كوليج بارك)

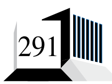
ترجمة: إبراهيم عامر
جامعة قطر
البريد الإلكتروني : iamer@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 05/03/ 2017م
تاريخ القــبول: 12/04/ 2017م

الملخص:

إن التحول الإدراكي في العلوم الإنسانية هو أحد النواحي الأكثر عمومية في الدراسات الإنسانية المعاصرة؛ لأنها تتفاعل مع العلوم العصبية الإدراكية، وقد تبدو غير مألوفة لدارسي العلوم الإنسانية، بالرغم من أنها تشتق الكثير من محتواها وقضاياها البحثية المركزية، والكثير من وسائلها من تقاليد العلوم الإنسانية منذ نشأة البلاغة القديمة. وتستهدف العلوم الإنسانية في جمعها بين القديم والجديد، والربط بينهما الربط بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، وكذلك الربط بين العلوم الشعرية والعلوم العصبية الإدراكية. والعلوم الإنسانية لا تستهدف خلق هجين أكاديمي، بل إيجاد نموذج عملي ومستدام وواضح ومتماسك فكريًا؛ للإجابة عن الأسئلة الأساسية والمتكررة حول الوسائل الإدراكية للفن واللغة والأدب.

(1) . Mark Turner. The Cognitive Study of Art. Language. and Literature. English. Maryland. College Park




The Cognitive Study of Art, Language, and Literature

Mark Turner
English, Maryland, College Park
Tr. Ibrahim Amer
Qatar University
iamer@qu.edu.qa

Abstract:

The cognitive turn in the humanities is an aspect of a more general cognitive turn taking place in the contemporary study of human beings. Because it interacts with cognitive neuroscience, it can seem unfamiliar to students of the humanities, but in fact it draws much of its content, many of its central research questions, and many of its methods from traditions of the humanities as old as classical rhetoric. Its purpose in combining old and new, the humanities and the sciences, poetics and cognitive neurobiology is not to create an academic hybrid but instead to invent a practical, sustainable, intelligible, intellectually coherent paradigm for answering basic and recurring questions about the cognitive instruments of art, language, and literature.

Keywords:

The cognitive turn- cognitive neuroscience- Art- Language- Literature.

أحد أسس البلاغة اليونانية:

تهتم الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب بأنماط الفكر والتعبير وطبيعة العلاقة بينهما، وعليه فإنها ترتكز على أساس فكري معتمد في عمل أهل البلاغة اليونانية على أنماط الفكر والتعبير. وبناء على استطلاعات Jeanne Fahnestock (1999) حول الأشكال/ الصور/ الصيغ البلاغية في العلوم؛ فإن هؤلاء البلاغيين قد تركوا لنا التصنيفات التأسيسية، والتحليلات المؤثرة، ومعجم المصطلحات الفنية مثل الإطار العقلي والتشبيه والجناس وأيضا التركيز المفيد على الطريقة التي ترتبط بها أنماط المعاني مع أنماط الشكل.

إن الدراسات الإدراكية أحيانًا ما تكون مجرد إعادة صياغة لجزء أو أكثر من البلاغة القديمة، ولكن بلغاء النظرية الإدراكية الحديثة قد طوّروا مسارات بحثية لم تكن متوفرة إلى حد ما في البلاغة القديمة؛ لإعطاء اسم محدد للانتماءات الواسعة للمفكرين الحداثيين؛ فلو أن أرسطو ما زال على قيد الحياة لقام بدراسة هذا البحث ومراجعة أعماله لتتوافق معه.

ومن المجالات التي تفوّقت فيها الدراسات الإدراكية الحديثة تفوقًا كبيرًا على النظرية البلاغية القديمة دراسة اللغات؛ ففي حقيقة الأمر فإن البلاغيين القدامى قد حققوا فكرة أن اللغة هي شبكة علائقية لأزواج معاني الشكل، وقاموا بأعمال مؤثرة ضمن هذه الفكرة، إلا أن الأبحاث في هذا الاتجاه قد تقدمت بسرعة في ظل أساليب اللغويات الإدراكية الحديثة.. (لمراجعة هذه الاستمرارية، انظر Turner 1998).

هناك رؤية أخرى غير متوفرة لدى البلاغيين القدامى هي نظرية التكامل المفاهيمي، المعروفة في العلوم الإدراكية باسم (نظرية المزج)، والتي قمت بتطويرها[1] بالاشتراك مع Gilles Fauconnier. إن خلط المفاهيم هو العملية العقلية التي يتم فيها خلط حزمتين عقليتين من المعاني بشكل تقريبي وحدسي؛ فعلى سبيل المثال، يتم خلط إطارين عقليين للمعرفة أو السيناريوهات، سواء بشكل انتقائي أو وفق قيود محددة لإنتاج حزمة عقلية ثالثة للمعنى تكوّن لها معنًى منبثقًا جديدًا، وعندما ذكرت أنه لو كان أرسطو على قيد الحياة في هذه الأيام، ما وسعه إلا القيام بمراجعة أعماله القديمة متأثرًا في ذلك بالدراسة الإدراكية الحديثة؛ فإننا نتناول سيناريوهين- البحث البلاغي الإدراكي الحديث من جهة وانخراط أرسطو في بحثه الخاص به من جهة أخرى - والمعاني المتوقعة لهذه السيناريوهات مما ينتج عنه تجميع قصة مختلطة لها معنى منبثقٌ جديدٌ؛ فلو كان أرسطو على قيد الحياة في وقتنا الحالي، وبميوله المحبة للبحث والتحقيق بقدراته الفكرية القديمة، وبعد إحاطته علمًا

(1))(For an introduction to blending for students of art, language, and literature, see Turner 1996 and Turner and Fauconnier 1999. For a survey of current research on blending, see Turner 1999. For the technical details of the theory of blending, see Fauconnier and Turner 1998.

للمقدمة حول المزج لطلاب الفن واللغة والأدب، انظر Turner 1996 وTurner and Fauconnier 1999. وللمزيد حول المسح الميداني للبحث الحالي عن المزج، انظر Tunner 1999. وللمزيد حول التفاصيل الفنية والتقنية لنظرية المزج، انظر Fauconnier and Tunner 1998

بالاكتشافات الحديثة؛ لراجع مؤلفاته وأعماله كنوع من الإسهام في علم البلاغة الإدراكية الحديثة، ومن الواضح أن هذا المعنى الجديد لم يتوفر في أي من السيناريوهات التي أسهمت في هذا المزج؛ فأرسطو ليس جزءًا من سيناريو الدراسات الإدراكية الحديثة على الإطلاق، وهذا لا يتيح له بالأحرى مراجعة مؤلفاته وأفكاره وأعماله متأثرًا بالدراسات الإدراكية الحديثة، ومن ناحية أخرى، فمن منطلق سيناريو الآخر، وهو أن أرسطو على قيد الحياة تاريخيًا، فإن انخراطه في أبحاثه الخاصة، لا يعني وعيه بالدراسات الإدراكية الحديثة وبالتالي فإنه غير متأثر بها، ولكن عند المزج، ستنشأ لدينا فكرة أن أرسطو يعي الدراسات الحديثة، ويقوم بمراجعة أفكاره ومؤلفاته وأعماله متأثرًا بالدراسات الإدراكية الحديثة. وهذا هو المفهوم الجديد؛ مفهوم بناء المعنى المنبثق من المزج.

ومن المثير للاهتمام أن نرى مدى سرعة تطور الاستدلالات التي لا تتوفر في المدخلات عند المزج، وجملتي بشأن بعث أرسطو من جديد قرأها أناس عديدون من زوايا مختلفة؛ فبعضهم قرأها على أنها دافع لهم لتأطير الخطاب البلاغي القديم ليس كعمل تاريخي مكتمل بشكل رئيس يتعين شرحه، ولكنه برنامج مستمر من البحوث نعمل على تطويره، والبعض الآخر قرأها على أنها دافع لتأطير البلاغيين الحديثين كخلفاء علميين للبلاغيين القدامى، والبعض قرأها على أنها دافع لهم لتأطير النصوص البلاغية القديمة وليس كمعيار للروائع الأدبية، بل كسلسلة من أوراق العمل المبدئية في برنامج بحثي،وبعضهم الآخر قرأها على أنها دافع لتأطير الخطاب الإدراكي الحديث ليس باعتباره ثورة فكرية في دراسة الفن واللغة والأدب ولكن كامتداد طبيعي للتقاليد التي تحتضنها. يمكن لأي شخص أن يحتج على أي من هذه الاستدلالات وفقا لمفاهيمه، ولكن الأهم أننا لا نضطر للتعبير عن أي منها صراحة للقراء لتطويرها؛ لأنها نشأت بشكل طبيعي حسب اعتقاد العديد من القراء بخصوص المزج.

إن بعث أرسطو من جديد هو سيناريو ممزوج ومغاير للواقع. كما أن تقاليد التعامل مع السيناريوهات المغايرة للواقع كهذا السيناريو (مفاهيم العوالم الممكنة)؛ والتي تختلف في أبسط أمورها عن عالمنا ليست مفيدة في تحليل هذا المزج؛ لأن قضايا التغيرات الدنيا والضرورية لخلق عالم يتم فيه بعث أرسطو من جديد هي أمور خارجة عن الموضوع. إن إعمال العقل سواء في المزج أو من المزج إلى السيناريوهات المُسهِمة التي لا تمت بصلة للحقيقة، والتي يستحيل بشتى السبل أن تبعث أرسطو من جديد، وعلى الرغم من أنه يمكننا بكل سهولة وبلا وعي بناء السيناريو الممزوج الذي يتم فيه بعث أرسطو من جديد، وبالرغم من أننا ندرك بسرعة وبسهولة أن بناء المزج شيء معقد، فإن بناء مثل هذه السيناريوهات تدعو لإسقاط انتقائي دقيق لكل من السيناريوهات المسهمة. فعلى سبيل المثال إننا لم نُعِد أرسطو إلى الحياة بالعقلية الضعيفة والضعف البيولوجي التي كان عليها عند موته، ولم نُعِده إلى الحياة كالوليد ولم نصر على وجوب تعلمه التحدث والتفكير من جديد. وبالرغم من يقيننا بأن هذا هو السبيل الذي يجب أن يدخل

بـه جميع البشر إلى عالمنا، فإنه يمكن لأرسطو في المـزج أن يتحدث مع البلاغيين الإدراكيين وقراءة ما يكتبونـه، علـى الرغـم مـن أنهـم لا يتحدثون اليونانيـة الكلاسيكية، وأرسطو التاريخي قد توفي قبل أن تأتي الإنجليزية إلى حيز الوجود.

إن بنــاء المزج يتطلب القيـام بعمليات التأليف والإتمام والتفصيل. فعلى سبيل المثال يتوجب علينا تأليـف اهتمام أرسطو بالمعنى والتعبير في البحث الحديـث، ويتوجـب استكمـال هـذا السيناريـو، وبذلك يصبح أرسطو على وعي وبينة من البحوث الحديثة، كما يتوجب تفصيل هذا المزج، وبناءً على ذلك، يجـب أن يراجع أرسطـو نظرياته استجابةً إلى هذه الاستفسارات الحديثة.

إن قـوة المزج وتعقيده في مثل هـذه الأمثلة قد يجعل المـزج كما لو كان نوعًا مـن خدعة السيرك الفكـري الغريب، والتي لا يستطيع أن يؤديها سوى العقـل المـدرب واليقـظ المتأهـب تمامًـا والمتميز بصفــات الاختراع، وعلى النقيــض من ذلك، فإن المزج في أغلب الأحوال يكون بمنزلة عملية روتينة، وعمل يومي يتفادى الاستكشاف باستثناء التحليل الفني. كمـا أنه ليس مخـصصا لأغراض خاصة وليـس مكلفًا، كمـا أنه ليس مخـصصا للبالغين؛ ففي حقيقة الأمر هو الدعامة والركيزة الأساسية لأدب الأطفــال، ففــي كتــاب «هارولــد والقلــم الأرجــواني Harold and the purple Crayon» للكاتـب كروكيـت جونســون Crocket Johnson ([1955] 1983)، والــذي تم تأليفــه للأطفــال بداية من سن ثلاث سنوات، وقد استخدم هارولد قلمــه الأرجواني لــيرسم، وكان يــرسم كل ما هو حقيقــي، حيث كان عالمه مزجًــا من واقعه المكاني وما يمثله هذا الواقع، كمــا يمزج ويصهر التمثيل مع مــا يمثله هذا التمثيل؛ فعندمــا احتاج هارولد إلى الـضوء حتـى يخـرج في نزهـة، قـام بـرسم القمر، وحصل بذلك على ضوء القمر، وظل القمر مرافقًــا له أينمــا ذهب، ويوجد بهــذا المزج اثنان من المدخــلات، إحدى هذه المدخلات هي عناصر العالم المـكاني الحقيقي كما شاهدناه وعاصرناه، وأحـد هـذه العناصر هـو القمر، والمدخـل الآخر في هـذا المزج لديـه معرفة تقليديـة بالرسم، وفي عمليـة الإدخــال التي بهــا قمر حقيقــي، لا يمكن خلـق القمر عن طريق الـرسم، ولا يمكن أن يأتي إلى حيز الوجود بنــاءً على رغبة شخص ما. ومن خلال الإدخــال باستخدام الرسم، لا يمكن للقمر المــرسوم أن ينبعث من ضوء القمر أو أن يسبح في كامـل السماء كرفيق للفنان. ولكن في المزج هناك قمر خاص ممزوج بخصائص منبثقة خاصة.

إن آليات المزج التي تنتج لنا هذا القمر الخاص الممزوج تعمل بشكل عام على مدار كتاب «هارولد والقلـم الأرجـواني». فعندما يود هارولـد العودة إلى منزلـه؛ فإنه يـرسم شباكًا حـول القمر، وقد رسم هـذا القمر في مكان بحيث يكـون ظاهرًا له مـن الشباك عندما يكون في غرفة نومه، وهارولد موجـود في الواقع في غرفة النوم، ويمكنه أن يخلد إلى النوم؛ فالعالم المختلط للطفل هارولد به أنواع جديـدة من السببية وقولبـة الحدث وغير المتاحة سواء في مجـال الرسم أو مجـال الحياة المكانية. إن الإسقاط على هذا المـزج، واستكمال وتفصيل المزج لا يمكـن حسابها أو تنبؤهـا من المدخلات، حيث إن المجال مفتـوح بشكل كبير للبدائل. وعلى سبيل المثال عندما يقـوم الشخص بالرسم؛ فإنه



غالبًا ما يمارس الرسم، ويقوم بعملية المحو، ولا يتم احتساب الأخطاء كجزء من الرسم النهائي؛ أي أنواع علامات تمت باستخدام القلم الأرجواني سيتم احتسابها كحقائق في المزج؟ لقد قام مؤلف الكتاب باختيار الإجابة، وهي أن جميع العلامات يتم احتسابها. وعندما تهتز يد هارولد التي تحمل القلم الأرجواني عندما يتراجع أمام التنين المخيف بشكل رهيب؛ فإن العلامة الناتجة عن ذلك ستكون خطًا أرجوانيًا على شكل الاسكالوب المموج: «وفجأة يدرك ما كان يحدث، ولكن بحلول ذلك الوقت كان هارولد قد انقلب على رأسه في المحيط» (جونسون ([1955] 1983).

ليس غريبًا أن يكون مبدأ ربط الرسومات الأرجوانية مع عناصر الواقع هو تطابق شكلي للصورة: فلو أن الرسم يطابق شكل رمز شيء ما فإنه يمثل هذا الشيء، ولكن يظهر أن هذه المطابقة مقيدة، فالرسم الأرجواني المقدم يمكن أن يطابق حقيقة واحدة؛ فعلى سبيل المثال، لو أن الخط المموج يعبر عن المحيط، فلا يمكن لهارولد أن ينقل المحيط ليضعه فوق كعكة من خلال فهم أن الخط المموج هو بمثابة الثلج على الكعكة. ومع ذلك، فمن خلال مزج مفهوم بشكل مختلف، وفي كتاب مختلف، فإن الشخصية التي تقوم بالرسم يمكن أن تمتلك القدرة على إعادة صياغة الواقع من خلال تصور الرسم بطريقة ما في البداية، ثم بطريقة أخرى فيما بعد.

في مزيج هارولد يتمثل العالم والحيز المادي في قطعة الورق التي يقوم هارولد بالرسم عليها. فما هي احتمالات المزج المكون من ورقة بيضاء/ مساحة فارغة؟ هل يمكن لهارولد التحرك كما يشاء من خلالها؟ الجواب الذي اختاره المؤلف هو أنه بمجرد رسم شيء ما يضع هارولد في موقع نسبي، فسيصبح مقيدًا ببعض ماديات العالم الحقيقي؛ فعلى سبيل المثال، بمجرد أن يرسم جسم القارب وجزءًا من الصاري، يجب أن يتسلق السارية لرسم أجزاء من القارب التي لا يمكن الوصول إليها من الأرض. وعندما يريد أن يجد منزله، فإنه يبدأ في رسم الجبل الذي يستطيع أن يصعده للحصول على منظر أفضل. ويصعد الجزء الذي رسمه حتى يتمكن من رسم المزيد من الجبال ليقوم بالصعود عليها، ولكنه عندما ينظر إلى أسفل الجانب الآخر من الجبل سينزلق؛ لأنه بالنسبة إلى لجبل موجود في مساحة فارغة، والمساحة الفارغة الآن هي مجرد فراغ؛ لذلك فلا بد له من السقوط، ويتوجب عليه حينها رسم بالون لإنقاذ نفسه من التحطم.

وقد وردت عدة حالات مزج متشابهة في كتب الأطفال الأخرى، مثل كتاب «الأرنب الهارب The Runaway Bunny» للكاتبة «مارغريت وايز براون Margaret Wise Brown» (2491) وكتاب «صورة جون John's Picture» للكاتبة «اليزابيث ماكدونالدز Elizabeth Mac Donald» (1991) وكتاب «الأمير الصغير Le Petit Prince» للكاتب «أنطوان دي سانت اكسوبيري Antoine de Saint-Exupery» (1943). والحيوانات المتكلمة والتي نجدها بشكل روتيني في أدب الأطفال هي مثال واضح على المزج. كما أن الكثير من أغاني الأطفال تقدم مزجًا تفصيليًا. وأغنية الأطفال الفرنسية «Il etait une dame Tartine » والتي هي

من الأغـاني المفضلـة إليَّ والتي تـصف الديوان والقـصر الملكي كأطعمة فوريـة. وجزء من البناء المنبثـق في هذه الأغنية هو إجبـار الآباء أطفالهم على تنـاول كميات كبيرة من السكـر، لذلك فإنه يتم الاحتفاظ بـ «قصور السعادة الملكية المصنوعة من السكر».

تـعـد عبـارة «هـذا الجـراح حـطـاب This Surgeon is a lumberjack» مزجًـا استعاريًـا مجازيًا، وتُقرأ في العـادة على تأكيد أن الجراح غـير كفء، بالرغم مـن أن عدم الكفاءة لا يتعلـق بنموذج الجراح، كما أنه لا يتعلق بنموذج الحطاب. وهنـاك مزج شعبـي في واشنطن ظهر عندمـا تم تشغيـل فيلـم تايتانيـك عـام 1997 والـذي تزامن مـع تعـرض الرئيس بيـل كلينتون لفضيحـة جنسية جديدة وهو: «لو أن كلينتون كان هـو تايتانيك، لغاص جبـل الجليد»، (وحظى هذا المـزج بشعبيـة مرة أخـرى بعد مرور عـدة أشهر عندما استمـر اتهام بيل كلينتون بنفس الفضيحة الجنسية). وهذا المزج هو مزج مجازي استعاري، ولكنـه ليـس إسقاطًـا أساسيًـا عمـا نعرفـه عن تيتانيـك على فهمنا لبيـل كلينتون، فما نعرفه عن تيتانيك أنها غرقت، أمـا في المزج، فإن كلينتون/ تيتانيك ينجو، وجبل الجليد/ الفضيحة/ الاتهام يغـرق، على الرغـم من أن كثافـة الجليد أقل من كثافة الماء.

ويحـدث المـزج في مبـادئ الأدب العليـا، وعلـى سبيـل المثـال، قصيـدة والاس ستيفنـز Wallace Stevens «تمثـال لرجـل مصنـوع من الجليـد The Snow» تعد مزجًا يقـرأ عادة على أنـه طلب منا فهمهـا على أنها مـزج تمثال لرجل مصنـوع مـن الثلج مع إنـسان عادٍ. ومـزج تمثال الرجل المصنوع من الجليـد له قوة خاصة للفهم؛ لأنها غير محكومة بالتصرف البشري الذي لا مفر منه والذي يفرض أفكارًا مسبقة لما يراه. إنه:

.. المستمع، الذي يسمع في الجليد

ويرى نفسه لا شيء

واللا شيء غير موجود، و اللا شيء لاشيء

ولا يمكن لقراء هذه القصيدة أن يمزجوها مع تمثـال لرجل مصنوع مـن الثلج عن عمد، ولكنهم يستطيعـون تعلـم شيء مـا عن طريق بنـاء المزج والتأمل فيه.

المـزج هو بالتحديـد ذلك النوع مـن العمليات العقلية المثيرة للاهتمام لدى البلاغيين القدامى، ولكني لم أجد سوى فقـرة قصيرة واحدة يعترف فيها البلاغيون القدامـى ضمنيا بالعملية العقلية للمـزج، وكما هـو متوقع، فقد وجدتهـا في الكتاب الثالث من بلاغة أرسطو (الفصل 3 [1406ب]): «فخطاب غرجـس Gorgias لأنثى طائر السنونو عندما كانت تدع روثها يقع عليه لأنها تطير عالية في السمـاء، يعد أكـثر الطرق مأساويـة. إذ قال: «بلـى، عار، يـا فيلوميـلا Philomela.» فبالنظر إليهـا كطائـر، لا يمكن أن نعتـبر أن فعلها مشين، ولكن بالنظر إليها كفتاة، يمكن أن نعتبر ذلك فعلًا مشينًـا؛ ولذا فإن معاملتها تعد نوعًا من السخرية كمـا كانـت عليـه ذات مرة وليـس كما هـي عليه الآن.«كمـا أن الفعل المشين موجود فقط في المزج؛ فالفعل أمـر مستحيل بالنسبـة إلى الفتاة، والعار شيء مستحيل بالنسبـة إلى طائر السنونو، وليس من الـواضح تمامـا أن أرسطو يـدرك وجود هذا

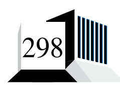
المـزج، أو يدرك المعنى المنبثق مـن العمل المشين، أو يـدرك أن المعنى المنبثـق موجود فقط في المزج، وعلاوة على ذلك، فإن أرسطو يرى أن المزج إنجاز غريب ونــادر، ولم يقدم أي إسهام نظري لدراسة المـزج. وببساطة فإن النظـرة الثاقبة في المزج لم تكن متوفرة لدى البلاغيين القدامى[1].

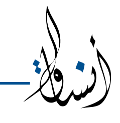
ولقـد لفت هذا الإغفال نظري جدًا، نظرا إلى رؤيتي أن القـدرة المركزية للبشر الحديث معرفيًا (إذإن كلمـة «حديـث» هنـا ربما عـادت لخمسين ألـف سنة إلى الوراء) تتمثـل في قدرتهم المتقدمة على تحقيـق التكامل المفاهيمي؛ فخـلال العصر الحجري القديم العلوي بـدأ البشر تقدما مذهلا بـدءًا من التفاهة إلى السيطرة على هذا الكوكب. وتشريحيا، فإن البشر الحديث قد تطوروا بالفعل قبـل وقتنا هـذا بـ 150 ألـف سنة، ممـا يعني أن شيئًا مـا قد تغير خلال العـصر الحجري القديم العلـوي، حيث حصلت البشرية علــى قدرة كبيرة من الابتكار وتأسيس ثقافة تشجيع الابتكار، حيث اكتـسب البشر الخيال بقدرته علـى خلق مفاهيم جديدة وأنمـاط عقلية جديدة، وقـد كانت هناك عـدة نتائج مثيرة تمثّلت في الفـن والعلوم والدين والثقافة واستخدام الأدوات الدقيقة واللغة.

القصة التي توضح تطور الجنس البشري – من الناحية الثقافية والعقلية والبيولوجيا العصبية – هــي قـصة تطويرنا للقــدرة على تشكيـل شبكات التكامل المفاهيمي مــن المدخلات المتناقضة بقوة لخلـق معنىً جديـد في المزج. وأنـا لا أعرض هذه القـصة كنوع من الانتصار أو المتعة؛ فالمزج يحمل ألمًـا بالغًـا، ليس للجينـات فحسب، ولكـن للعقول البشرية العاطفية التي تزول روتينيًا بموت أجساد البـشر، ويعيـش العقـل البـشري في نسيج متغير وحيوي لعدد مــن الأمزجة الفكريــة والمفاهيمية، وبذلـك يـشكل وجــوده ومعناه، ولا يكـون ذلك في شكل سار ومرحـب بـه؛ فالطفلـة التـي توفيت في المــاضي، ما زالت تعيش معنـا بعقلها، فالطفلة لا تغادر أبـدًا، بل إنها موجودة لتلقــي بظلالها على اليــوم، بالرغـم مــن أن أيامنا قد تغـيرت جذريًا منذ وفاتها. وفي المزج، يمكن لنا أن نتخيل حياتها ومعيشتها وتقـدم سنها بالشكل المنـاسب. ونحن نخضع أو نبتسم لردود أفعال أجدادنا الميتين على

(1) A basic mental operation like blending could not entirely escape detection. Literary cri - ics, art historians, psychologists, rhetoricians, linguists, and other scholars have here and there noticed and analyzed individual blends. There are also theoretical discussions that lean in the direction of recognizing blending as a basic mental operation. The most extended is Arthur Koestler's work The Act of Creation (1964), which presents Carl Duncker's blend "The Buddhist Monk." Fauconnier and Tur - er (1998) in turn use "The Buddhist Monk" as their main heuristic example of blending. But Koestler regards blending as exceptional and has no theory of its structural and dynamic operation. Except under charitable reading of a few of his passages, he appears to mistake it for composition of elements selected from the contributing scenarios.

والعملية العقلية الأساسية مثل المزج لا يمكن أن تتفادى الاستكشاف تمامًا. فنقاد الأدب ومؤرخي الفن وعلماء النفس والبلاغيين واللغويين وغيرهم من العلماء في شتى المجالات لاحظوا وحللوا حالات المزج الفردي. وهناك أيضا المناقشات النظرية التي تميل في اتجاه الاعتراف بالمزج كعملية عقلية أساسية. والعمل الأكثر انتشارًا هو عمل آرثر كوستلر Arthur Koestler في قانون الخلق The Act of Creation (1964) والذي يعرض مزج كارل دانكر Carl Duncker في "الراهب البوذي The Buddhist Monk». ويستخدم فوكينير ووتيرنر Fauconnier and Turner (1998) بدورهما 'الراهب البوذي «» كمثال ارشادي رئيسي للمزج الخاص بهما. لكن كوستلر يعتبر المزج أمرًا استثنائي لا تتوفر له لعملياته الهيكلية والديناميكية أي نظريات. ويبدو انه أخطأ ذلك في تكوينه عناصر مختارة من السيناريوهات المساهمة باستثناء ما تم في ظل القراءة التطوعية لعدد قليل من الفقرات،





قـرارات أبنائنا بالرغم مـن أن أجدادنا لم يلتقوا بأبنائنا. كما أننا نأخذ العبرة للأحداث والمشاعر والمعتقـدات من هذه الأمزجة، كمـا نقوم بتجميع الآجال الممزوجة ونختار من بينها أو نجمع أمزجة الواقـع المغايـر للحقيقـة ونحزن علـى مغايرتهم للواقـع، فالشعر يأخذ ويكتـسب مطالبه وحقيقته من هذه الأمزجة، فعندما يمزج المتحدث في «بين أطفـال المـدارس Among School Children» للكاتب ويليام بتلرييتسWilliam Butler Yeats ذكرى السيدة ليدا مع مفهوم التلميذة:

أحلم بجسم السيدة ليدا وهي تنحني

فوق النار الغارقة، تلك القصة التي حكتها

عن التوبيخ القاسي، أو الأحداث التافهة

التي جعلت من يوم طفولي ما، مأساة محكية

كما يبدو أن لدينا طبيعتينممزوجتين

في مجال من تعاطف الشباب

وإلا فلنغير المثل الأفلاطوني،

في صفار وبياض داخل محارة واحدة.

وأفكر في أن نوبة من الحزن أو الغضب

وأعتبرها بمثابة طفل، أوآخرموجود هناك

ونتساءل إذا وقفت هكذا في ذلك بالعمر

حتى بنات البجع يمكن أن ترث

شيئًا من إرث كل ملاح

وسيكون لها هذا اللون على الخد أو الشعر،

وعندئذ سيكون قلبي مدفوعًا بقسوة

إنها تقف أمامي كطفل حي.

ويتـساءل راينـــر ماريـــا ريلكـــه Rainer Maria Rilke (1691[2291]:56) «من قام بلفنا بهذه الطريقة؟»

. . . الحيوانات الماكرة

تلاحظ أننا لا نوجد كثيرا في المنزل

في العالم الذي تناولناه بالشرح والتفسير

(ريكه 1961 [1922]:2)

لا يجوز لأي شخــص أو شيء أو ثقافة منفردة أو حدث محلــي أن يحيط بنا بهــذا الشكل، ولكن مـا يمكنه القيام بذلك هو تطـور نشأتنا المشتركة للقـدرة العقلية التــي لها قوة لم يسبــق لها مثيل، ولكن بدون ضامن لمزج المتعة.

أساس في علم الأعصاب الإدراكي

لقـد ذكرت أن الدراسة الإدراكية للفن والأدب واللغة لديها قـدم في البلاغة الكلاسيكية والقدم الأخرى في علم الأعـصاب الإدراكي، وهو دراسة حديثـة للدماغ والعقل؛ فعلم الأعـصاب الإدراكي أقل ألفة لدى أساتذة الأدب من البلاغة القديمة، ولكن من الممكن تغيير ذلك. ويصف ريتشاردسون Alan Richardson (1998:39) حالتنا الراهنة كما يلي:

عندما يُكتب التاريـخ الفكري في أواخر القرن العشريـن؛ فمن المحتمـل أن تـدرج نظرية الأدب الانغلوفـوني (الأدب المكتـوب باللغـة الإنجليزية بأقلام كتـاب غير بريطانيين أو غـير أمريكيين) والنقـد في حاشيـة ساخـرة أو أكـثر، وعلمـاء المستقبل قد يجدون تسلية في ادعاءات علماء اللغة الإنجليزيـة واحدًا تلـو الآخـر، في محاولتهم حل



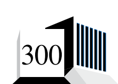
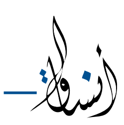
ألغاز الإنسانية، وتشكيل الموضوعات، واكتساب اللغات، والوعي سواء بوعي ضئيل أو معدوم نهائيًا بالتطورات المذهلة في علم النفس وعلوم اللغة وفلسفة العقل، وعلوم الأعصاب، والتي تشكل مركز الحياة الفكرية الأنجلو أمريكية منذ تسعينات القرن الماضي وحتى الآن ... ولقد انبثقت العلوم العصبية الإدراكية كأحد المشروعات متعددة التخصصات، والأكثر إثارة والأسرع نموًا في عصرنا، مما يجعل الأخبار محيرة للكثير من العاملين في أقسام الأدب. وسيثبت المزيد من ذلك بشكل مطرد.

وعلينا أن ندرك أن الشخص الذي بدأ في دراسة علوم الأعصاب الإدراكية لا يعني أنه يتبنى أفكار علماء الأعصاب الإدراكيين كما هي دون تمحيص ويعيد استخدامها في الدراسات الأدبية؛ وعلى النقيض من ذلك، فإننا نجد أن الاستثمار يسير في كلا الاتجاهين مع وجود بعض المفاوضات الشيقة؛ على سبيل المثال، فإن نظرية المزج لها أهمية لعلماء الأعصاب الإدراكيين لأنها تبين أن المزج الفكري يعمل على مدار الفكر اليومي واللغة والعمل وتقريبًا كل ما ينشأ من دراسة التعابير اللغوية والأدبية والإبداعية.

إن علماء الأدب والفن متفهمون جدا لطريقة العمل المعقدة للإبداع والابتكار واللغة والتمثيل المرئي وبناء المعاني؛ كما يقدم العلماء أمثلة رائعة ومضيئة تجعلنا نرى تعقيدات العملية العقلية أسهل قليلًا في الكثير من الأحيان، ولدى العلماء تدريب جيد على الحدس حول تعقيدات الظواهر العقلية واللغوية، ولديهم أيضا أفكار حول المعنى والشكل، كما أن لهذه التعقيدات والأفكار بالرغم من عدم تغلغلها في مجال رؤية علم الأعصاب الإدراكي في الكثير من الأحوال، إلا أنها جزء يجب أن يقدمه علماء الأدب والفن لعلم الأعصاب الإدراكي.

يمكن لعلم الأعصاب الإدراكي تقديم العديد من الأمور، وأحد هذه الأمور هو فهم التاريخ البشري بشكل أوسع؛ فنجد أن علماء الفن والأدب يركزون على التاريخ الثقافي والاجتماعي؛ لأنه يعمل على فترات زمنية وجيزة نسبيا تمتد لعقود أو قرون، بينما يسهم علم الأعصاب الإدراكي في هذا الشأن، ولكنه يأخذ في الاعتبار وبشكل متساو اثنين من الجوانب الحاسمة الأخرى في التاريخ البشري، الجانب الأول هو تاريخ النشوء والتطور؛ لأنه يعمل على مدى آلاف وملايين السنين، والجانب الثاني هو تاريخ خلق الإنسان وتطوير العقل الفردي والمخ بدءًا من مرحلة الحمل وحتى المراحل المتقدمة من العمر، وينظر عادةً إلى التاريخ الثقافي، وتاريخ النشوء والتطور، وتاريخ خلق الإنسان في علم الأعصاب الإدراكي على أنها جوانب من التاريخ البشري التي لا تعمل بشكل مستقل.

بعيدا عن تاريخ النشوء والتطور، وتاريخ خلق الإنسان، والتاريخ الثقافي، فإن الدراسة الإدراكية أيضا تريد معرفة ما الذي يصنع التاريخ، فمن خلال نشر نظريات أنظمة التنظيم الذاتي والأنظمة التكيفية المعقدة، تعمل الدراسة الإدراكية على تحليل الطرق التي تكون من خلالها النظم التاريخية لأنماط تنموية تابعة لمسارات أخرى وغير تأسيسية، ومشروطة، وغير غائية، وغير حتمية، وتوجد النظم التاريخية جنبا إلى

جنب مع البدائل التاريخية الأخرى؛ النظم التاريخية تعمل على تطوير الهياكل المنبثقة، وتعتمد على الحوادث. (فعلى سبيل المثال، ربما يعتمد وجودنا على قيد الحياة على حادث حدث قبل 65000000 من السنوات، عندما ضرب نيزك البحر قبالة ساحل شبه جزيرة يوكاتان Yucatan Peninsula، مما ساعد الثدييات المنافسة الديناصورات على التطور).

هناك العديد من النظم التاريخية، والتي تشمل كل الكائنات الحية على الأرض عبر كل العصور، وكل الجينات الناشئة، وجميع النظم المفاهيمية للأفراد عبر كل العصور، والنظام المفاهيمي المجتمعي، وجميع النظم المفاهيمية التابعة له، والنظام المفاهيمي الفردي، وجميع النظم المفاهيمية التي كانت موجودة من قبل، سواء أكانت على شكل فردي أم كانت منحدرة من النظام المفاهيمي الموجود حاليًا، وكل اللغات البشرية عبر كل العصور التاريخية، واللغة الإنسانية المشتركة من قبل المجتمع اللغوي، وجميع الدراسات والظواهر اللغوية المنحدرة عن تلك اللغة، واللغة البشرية على المستوى الفردي، وجميع الأنظمة اللغوية التي كانت موجودة على مستوى فردي أو انحدرت من النظام اللغوي الحالي والجهاز العصبي المركزي الفردي خلال تطور خلقه تشمل الأنظمة التاريخية من هذا النوع أيضا على المجتمعات والثقافات، وأحد الأشياء التي توليها الدراسة الإدراكية اهتمامًا أكبر هو بحث الطريقة التي تتفاعل بها مختلف النظم البشرية على مر العصور، كما يبدو أن الجوانب الثلاثة من تاريخ البشرية التي ذكرتها - النشوء والتطور وخلق البشرية والثقافة - ما هي سوى بعض الأنظمة التاريخية المتفاعلة، وغير القابلة للانفصام، والتي تدخل في تشكيل وجود وإبداعات البشر.

المستقبل

الكثير من الإثارة المحيطة بالمنهج الإدراكي للفن والأدب واللغة يأتي من منظور الاستثمار بين العلوم الإنسانية والمجالات العلمية، مثل علم الأعصاب، واللغويات الإدراكية، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا (علم أصول الإنسان). هذا المنظور -المحبب للبعض، والكريه للبعض الآخر- يتم تقديمه باستمرار على أنه منظور جديد. ونظرًا إلى كون هذه المجالات العلمية هي أحدث بكثير من المجالات التقليدية مثل البلاغة فهي تعد جديدة نوعًا ما. ومن جهة أخرى، فإن المناهج الإدراكية للفن والأدب واللغة متجذرة في التقاليد القديمة للعلوم الإنسانية؛ التي ترتكز دائما على قضايا العقل واللغة، وبسبب هذه التقاليد القوية يمكن للعلوم الإنسانية توفير أرضية رائعة لتوحيد المناهج الإدراكية الحاسمة، يتم على أساسها السعي إلى تحقيق مجموعة من الأدوات هي الأفضل، والأكثر اكتمالا، والأكثر تنوعا، من أجل الاستفسار والغوص في كل من طبيعة المعنى الإنساني، وتفاصيل الإنتاج الأدبي والفني للإدراك. وفي هذا الصدد، أود أن أتقدم بالشكر لجمعية اللغة الحديثة (MLA) لمساعدتها وإسهاماتها في هذا التطور، من خلال إنشاء مجموعات جديدة للمناقشة حول المناهج الإدراكية في الأدب، والتي تم عرضها في منتدى جمعية اللغة الحديثة عام



1999 في سان فرانسيسكو، والتي بدأت أعمالها رسميا في جمعية اللغة الحديثة في شيكاغو عام 2000، وقد جاء موضوع المجموعة في جمعية اللغة الحديثة في واشنطن عام 2001 بعنوان: «المناهج الإدراكية في الخيال الأدبي».

ببيليوغرافيا

- Brown, Margaret Wise
- 1942 The Runaway Bunny, pictures by Clement Hurd (New York: Harper and Row).
- Fahnestock, Jeanne
- 1999 Rhetorical Figures in Science (New York: Oxford University Press).
- Fauconnier, Gilles, and Mark Turner
- 1998 "Conceptual Integration Networks," Cognitive Science 22 (2): 133-87.
- Johnson, Crockett
- 1983 [1955] Harold and the Purple Crayon (New York: HarperCollins).
- Koestler, Arthur
- 1964 The Act of Creation (London: Hutchinson & Co.).
- Lakoff, George, and Mark Turner
- 1989 More Than Cool Reason: A Field Guide to PoeticMetaphor(Chicago: University of ChicagoPress).
- MacDonald, Elizabeth
- 1991 John's Picture, pictures by Dave McTaggart (New York: Viking).
- Richardson, Alan
- 1998 "Brains, Minds, and Texts," Review 20:39-48. Available on-line at http://www2.bc.edu/~richarad/lcb/rev/mt.html.
- Richardson, Peter
- In press. "Making Thanes: Rhetoric, Literature, and State Formation in Anglo-Saxon England," Philological Quarterly.
- Rilke, Rainer Maria
- 1961 [1922] Duino Elegies, translated by C. F. MacIntyre (Berkeley: University of California Press).
- Turner, Mark
- 1991 Reading Minds: The Study of English in the Age of Cognitive Science (Princeton, NJ: Princeton University Press).
- 1996 The Literary Mind: The Origins of Thought and Language (New York: Oxford University Press).
- 1998 "Figure," in Figurative Language and Thought, by Cristina Cacciari, Ray Gibbs, Jr., Albert Katz, and Mark Turner, (New York: Oxford University Press).
- 1999 Website on Blending and Conceptual Integration: blending.stanford.edu.
-
- Turner, Mark, and Gilles Fauconnier
- "A Mechanism of Creativity," Poetics Today 20:397 – 418.
- https://glossarissimo.wordpress.com/2015/04/18/ar-en-%D9%85%D8%B9%D8%AC%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D8%A5%D9%86%D8%AC%D9%84%D9%8A/